الجيوبولتيك وأطروحة نهاية الجغرافيا: انكفاء أم انبعاث جديد؟

Geopolitics and the End of Geography Thesis: Regression or a New Revival?

رابح زغوني ♦
جامعة 8 ماي 1945 قالمة/ الجزائر
zeghouni.rabah@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال:2022/01/31 تاريخ القبول: 2023/06/21 تاريخ النشر: 2023/07/03

الملخص:

يخضع العالم منذ فترة لانتقال مثير من حضارة الموجة الثانية الصناعية إلى حضارة الموجة الثالثة المعلوماتية بفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. تبعاً لذلك وفي حقل الجغرافيا تظهر القضية الرئيسية للنقاش في مسألة تجاوز الحدود الإقليمية في عالم يتجه ليكون عالماً مستقلاً عن قيود الحدود وأثر المسافة فيما يُوصف بنهاية الجغرافيا. وحيث يدفع هذا التحول عملياً إلى إعادة ترتيب العلاقات المكانية وإعادة هيكلتها، فإن التفاعلات الدولية أيضاً تصبح تدريجيا منفصلة عن حسابات الجغرافيا دافعة للتساؤل عن أي دور ممكن للجيوبولتيك في العلاقات الدولية. يناقش هذا المقال مصير الجيوبولتيك في ظل مقولة نهاية الجغرافيا بين بدائل جديدة وفرص انبعاث ممكنة.

الكلمات المفتاحية: الجغرافيا، الثورة الرقمية، العولمة، القومية، الاستراتيجيا.

Abstract:

The world has been undergoing an exciting transition from the second wave of industrial civilization to the third wave of informational civilization thanks to information and communication technology. Accordingly, in the field of geography, the main issue for discussion appears in the issue of transcending territorial borders on what is described as the end of geography. As this shift practically pushes the rearrangement and restructuring of spatial relations, the international interactions also gradually become separated from geography, prompting the question of any possible role of geopolitics in international relations. This article discusses the fate of

♦ المؤلف المرسل

the geopolitics in light of the end of geography hypothesis, between new alternatives and possible rebirth opportunities.

Keywords: Geography, digital revolution, globalization, nationalism, strategy.

مقدمة:

تُفهم الجيوبولتيك نظرياً على أنها سياسات الدول الخارجية مدفوعة بالموقع الجغرافي والموارد الطبيعية والمحددات الفيزيائية، فهي تُعنى بدراسة العلاقات الدولية بمركزية جغرافية؛ أي تحليل العلاقات السياسية الدولية في ضوء الأوضاع والتركيبة الجغرافية. وتاريخياً، غالباً ما تم تقديم مفهوم الجيوبولتيك -كاستراتيجية خارجية للوحدة السياسية- على أنه النزاع السياسي على الأراضي أو تنافس القوى الكبرى على سطح الأرض. ولهذا فالجيوبولتيك لطالما ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعامل المكان أو "الجغرافيا"، بل هي قد اشتقت لها إسماً من الجغرافيا، فـ"جيو" تعني الأراضي كمساحة جغرافية ، أما "البوليتيكا" فهي تعني صراع القوة وكل ما تنطوي عليه لعبة السلطة السياسية على الأراضي المعنية بها.

وعلى مر تاريخ العلاقات الدولية، كان اقتران الجغرافيا بالاستراتيجيا هو ما قدم لنا نظريات جيوبولتيكية تسعى إلى تعزيز مكانة الدول السياسية والاقتصادية والعسكرية. فالجيوبولتيك هي السياسة الخارجية للدول محكومة بالعوامل الجغرافية التي تقيد أو تيسر الخيارات السياسية والعسكرية للدول، والجيوبولتكيون هم الذين ينظرون إلى الجغرافيا وجغرافية العالم تحديداً من وجهة نظر قومية، فيقدمون نظريات تدافع عن استراتيجيات دعائية تتناسب مع سياق وجود دولهم قوة أو ضعف مواردها، قارية أو بحرية، مجال أهدافها، توزيع القوى العالمي والعوامل التكنولوجية المؤثرة في قدراتها العسكرية والاقتصادية.

مع دور مركزي للدولة وبالغ أثر لعوامل السيادة كعامل سياسي والحدود كعامل جغرافي، كان للجيوبولتيك دور كبير في تشكيل السياسة الدولية ورسم مساراتها. ولكن عمليات العولمة الجارية على نطاق واسع أدت تدريجيا إلى فقدان الدولة مكانتها المركزية في السياسة العالمية، وإلى تقليل أثر عامل الجغرافيا في تفاعلاتها؛ فحجم ونوع التدفقات العابرة للحدود قلّص عملياً من دور المكان، كما ساهمت تكنولوجيا المعلومات في الانتقال إلى ما يعرف بالعصر الرقمي، أو كما تجادل أطروحة ألفين توفلر فالعالم خضع لانتقال مثير من حضارة الموجة الثانية أو الحضارة الصناعية إلى حضارة الموجة الثالثة المعلوماتية الناجمة عن تكنولوجيا المعلومات وثورة الاتصالات. لتصبح عولمة المعلومات والاتصالات أهم قوة دافعة للتطور الاجتماعي، ومؤسِسة لنظام جديد تماماً متحرر من قيود الزمان والمكان.

إن هذا التحول يدفع للتساؤل بجدية عن ما هي الحدود النهائية للجغرافيا المعاصرة في ضل الثورة الرقمية وهيمنة الفضاء الرقمي، وهل فقدت الأرض معناها وقوتها؟ وإذا كان الأمر كذلك فما مصير الجيوبولتيك بفقدها لمجال تطبيقها الرئيس أي "الجغرافيا". على افتراض أن الثورة التكنولوجية تؤسس فعلاً لوضع مكاني جديد حيث

الجغرافيا الجديدة هي مساحة غير مادية؛ لا تبرز فيها أهمية المكان كما هو الحال في الفضاء الجغرافي المادي، يبحث هذا المقال في إشكالية مصير الجيوبولتيك بانتهاء مكونها الجغرافي، فهل انتهت الجيوبولتيك فعلاً؟ أم أنها استبدلت بمفاهيم جديدة بديلة؟ أم أنها عادت للانبعاث بشكلها القديم؟

بالاعتماد على ما تمنحه مستويات الوصف والتحليل المنهجية، من استعراض للأفكار والحجج ومناقشتها. يهدف هذا المقال إلى نقد وجهات النظر المتعارضة حول مصير الجيوبولتيك، فبينما يعتقد أنصار العولمة أن المظاهر الصريحة لنهاية الجغرافيا ترسم نهاية تصور قديم وبداية آخر جديد حول الجيوبولتيك، لأنها صارت تنتمي إلى عالم الماضي حيث عصر تكنولوجي قديم مقيد جغرافيا بمنطق الحدود الإقليمية ودرجة متدنية من العولمة، يعتقد التيار القومي أن الجيوبولتيك لا يزال بوسعها أن تشرح وتحلل الصراعات السياسية، الاقتصادية والثقافية التي تقف العولمة عاجزة عن تفسيرها، لتظل واحدة من أقوى القوى المحركة للأحداث العالمية، وبإمكانها أن تشرح جيدا كم عددا من قضايا الصراع القديمة ستولد من جديد.

1- الجيوبولتيك: الجغرافيا في خدمة الاستراتيجية الخارجية للدولة

إن نشأة وتطور الجيوبولتيك ارتبط ارتباطاً وثيقاً بعامل المكان أي "الجغرافيا"، حتى أن الجيوبولتيك منظورا لها كإستراتيجية قومية للدولة في علاقاتها مع الخارج اشتقت لها اسماً من الجغرافيا. لذا غالباً ما يتم الخلط بين الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك حيث أنهما تشتركان في إطار مرجعي واحد هو الجغرافيا؛ فالمظاهر الطبيعية لسطح الأرض كما تشرح جغرافية الدولة السياسية، فإنها ترسم أيضاً الإطار العام الذي يجب أن تتحرك فيه الأحداث السياسية في الجيوبولتيك. لغوياً، قد يحصل أن يحيلنا المفهوم اللغوي الدقيق للجيوبولتيكا حين نترجمه للغة العربية فعلاً نحو مفهوم الجغرافيا السياسية، ليظهرا -على نحو خاطئ-كمترادفين يمكن استبدال أحدهما بالآخر في التوظيف الأكاديمي والسياسي للمفهوم. ذلك أن Geopolitics باللغة الأجنبية تنقسم إلى جزئين: البادئة Geo والتي لا يمكن أن تفهم سوى أنها اجتزاء لمفردة الجغرافيا، فيما يشير الجزء الثاني Politics إلى معنى السياسة، وبذلك قد يبدو لغير المتخصص أنه من الممكن استبدال الجيوبولتيك بالجغرافيا السياسية اسماً وصفةً، لتبدو الجيوبولتيك كتعبير مركب بسيط عن الجغرافيا والسياسة. غير أن المقاربة الدقيقة للمفهوم كما قصده واضعوه تُفضي بالضرورة إلى نتائج مغايرة، وهذا ما يتطلب منّا تحديداً دقيقاً لمعنى الجيوبولتيك.

في ألمانيا مهد الجيوبولتيك، اعتُبر علم الجيوبوليتيك بمثابة العلم الجديد للدولة الذي يستند إلى الجغرافيا. وقد كان **رودولف كيلين** Rudolf Kjellen أول من استخدم المصطلح عام 1905 في كتابه "الدولة مظهر من مظاهر الحياة"، مؤكداً على أن الغرض الأسمى للعلم هو جعل الجغرافيا في خدمة الدولة؛ أي بعبارة أخرى أكثر دقّة كيف يمكن لصانع القرار جعل الموقع الجغرافي كمصدر قوّة للدولة في التعبير عن مواقفها السياسية[1]. أما **كارل هاوسهوفر** Karle Hawshofer، فقد عرَّف الجيوبوليتيك على أنَّها "دراسة علاقات الأرض ذات المغزى

[1]- الموسوعة السياسية، "الجيوبولتيك"، على الرابط: https://bit.ly/3AYOYBn، تم التصفح يوم 2021/09/05.

السـياسي، إذ تـرسم المظـاهر الطبيعيـة لسـطح الأرض الإطـار للجيوبـوتيكا الذي تتحـرك فيـه الأحـداث السياسة"[1]. وفي نفس الاتجاه، كان **أتو ماول** Otto Maul قد عرَّفها بأنها "تُعنى بالدولة باعتبارها كائناً حياً وليس من خلال مفهوم ساكن، فهي تبحث ما وراء علاقة الدولة بالبيئة ومساحتها، ثم تحاول أن تعالج تلك المشكلات الناتجة عن العلاقات المساحية"[2]

وحديثاً، ذهب **إيف لاكوست** Yves Lacoste لاعتبار الجيوبولتيك: "دراسة لمختلف أشكال صراع السلطة على الأرض، والقدرة تقاس بالموارد التي يحتويها الإقليم وبالقدرة على التخطيط خارج الإقليم"[3]. في حين عَرَّفَها **بارتس شابمن** Bert Chapman من منطلق "العلم الذّي يعكس الواقع الدولي ومجموعة القوى العالمية المنبثقة عن تفاعل الجغرافيا من جهة والتكنولوجيا والتنمية الاقتصادية من جهة أخرى، وتتسم بالطابع الديناميكي لا الثابت"[4].

على الرغم من تعدد التعريفات المقدمة للجيوبوليتيك، وذلك بسبب اجتماع عاملي تنوع الاتجاهات الفكرية واختلاف الفترات الزمنية والأحداث المرتبطة بها فيما وصفه هارولد ماكيندر "بأن لكل عصر جيوبولتكيته"، فإنه يبدو بأن هناك اتفاقاً عاماً حذراً يحصل بين أغلب تلك التعريفات حول أن جوهر الجيوبوليتيك هو تحليل العلاقات السياسية الدولية على ضوء الأوضاع والتركيب الجغرافي[5]. فكما يبدو من خلال أغلب التعريفات السابقة، فإن المساحة في الجيوبولتيك ليست كما في الجغرافيا السياسية مكوِّنة ومحددة فقط بتنوع الموقع الطبيعي وتنوع السكان، بل هي تتعلق أساساً بممارسة القوة بين الحكومات المتنافسة، فالمساحة في الجيوبولتيك هي المسرح والرهان لأشكال التنافس والصراع، ومن أجل زيادة قوتها المادية وكذلك الرمزية يجري التنافس عليها للسيطرة عليها بالحروب أو التحالفات أو التفاوض. إن الجيوبولتيك بهذا المعنى تصف تشرح وتبرر وجهات النظر الخاصة حول كيف تُكَّون وتُوظِّف الدول -كأقاليم جغرافية- القوة السياسية، والجيوبولتكيون هم الذين يستخدمون مناظير جغرافية لفهم النظام الدولي وشرح السياسة العالمية. وهذا ما يظهر في تعريف **ألكسندر دوفاي** للجيوبولتيك، بأنها تعني "دراسة التفاعلات بين المساحة الجغرافية وحالات التعارض بين القوى الناشئة فيها، فيُنظر للموقع الجغرافي بالنظر للقيود التي يفرضها والفرص التي يمنحها"[6].

إذن، إذا كانت الجغرافيا السياسية تتمحور أساساً حول كيفية تَشكُّل الشأن السياسي في مختلف مناطق الكرة الأرضية، فتهتم أساساً بشكل الدولة وطبيعة توزيعها على الكرة الأرضية، فإن الجيوبولتيك تعتمد منظوراً مختلفاً

---

[1]- شبكة النبأ المعلوماتية "مصطلحات سياسية: جغرافيا سياسية"، على الرابط:https://annabaa.org/nbanews/64/83.htm ، تم التصفح يوم 2015/09/05.

[2]- العيسوي فايز مُحَمَّد ، الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص 33.

[3]- الموسوعة السياسية، مرجع سابق.

[4]- نفس المرجع.

[5]- صافي عدنان ، الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، مركز الكتاب الاكاديمي للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص61.

[6]- ألكسندر دوفاي، الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك، ترجمة حسين حيدر، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2006، ص7.

قوامه" النزاع السياسي على الأراضي" أو تنافس القوى الكبرى على سطح الأرض؛ فبادئة "جيو" تعني في الجيوبولتيك الأراضي (Territories) كمساحة جغرافية يعتبرها الإنسان ملكا له، أما "البوليتيكا" فهي تعني القوة أي كل ما تنطوي عليه لعبة السلطة السياسية على الأراضي المعنية بها[1]. لذلك، تُفهم الجيوبولتيك نظرياً بأنها "السياسة الخارجية للدول محكومة بالموقع الجغرافي الموارد الطبيعية والمحددات الفيزيائية"، فهي تُعنى بدراسة العلاقات الدولية بمركزية جغرافية Geocentral؛ أي تحليل العلاقات السياسية الدولية في ضوء الأوضاع والتركيبة الجغرافية[2].

إن الجيوبولتيك تنطلق من فرضية أنه إذا كانت البيئة تؤثر على السلوك السياسي للدول فإن الإنسان قادر على تغيير والتحكم في هذا السلوك من خلال استغلاله الأمثل وتطويعه لتلك البيئة، وبذلك فهي تقدم لنا رؤية مختلفة للجغرافيا السياسية، فعندما نضع الجغرافيا في خدمة السياسة المساحية للدولة الحالية نجد أن الجيوبولتيك تتبنى الإجابة على الأسئلة المتعلقة بالمستقبل[3]؛ أي هل تحققت المتطلبات المساحية للدولة؟ وإن لم تكن قد تحققت فكيف يتم الحصول على تلك المتطلبات بما يتناسب وظروفها الجغرافية؟ وفي أي اتجاه يجب أن يحدث التغيير؟

2- الجيوبولتيك والجيواستراتيجيا: العامل الجغرافي في سياسات الدول الخارجية

بدأت الممارسة الفعلية للجيوبولتيك مبكراً قبل القرن التاسع عشر بكثير، فأفكار الجيوبوليتيك قديمة قدم المجتمعات البشرية على الأرض، ولكنها فقط بدأت تتضح أكثر منذ أن أخذت المجتمعات البشريّة تتّجه نحو إقامة الدولة، حيث بدأ اهتمام المفكّرين بدراسة تأثيرات البيئة الجغرافيّة على الشُّؤون السياسيّة والتخطيط للمستقبل ، ومنها توصّل المؤرّخ اليوناني هيدروت Hiroudot إلى أنّ سياسة الدولة تعتمد على جغرافيّتها[4]. وقد تُرجم الجيوبوليتيك في سياسات الوحدات السياسية على مر العصور من مصر القديمة والممالك الجرمانية والإمبراطورية الصينية...الخ. ولكن الأفكار الجيوبوليتيكية القديمة ارتبطت عامة بالظروف الجغرافية المحيطة بشعب أو مملكة أو مفكر، وكانت تسيطر عليها فكرة الوحدات الجغرافية المتكاملة مثل البحار والأنهار والجبال[5]. كما اتسمت بالنظرة المحلية الضيقة؛ لأن النظرة إلى العالم لم تكن شاملة على أساس أنه يشكل وحدة واحدة لضعف التكنولوجيا ووسائل الاتصال التي جعلت الوصول إلى الأماكن البعيدة صعباً أو متعذراً. ومع اكتشاف العالم الجديد وتزايد أهمية الأساطيل البحرية بدأ العالم يتقلص تدريجياً ليبدو كوحدة واحدة، ومن هنا

[1]- معين حداد، الجيوبولتيكا: قضايا الهوية والانتماء، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2006، ص6.

[2] - Bruno de Almeida Ferrari, Some Considerations About the Methods and the Nature of Political Geography and Geopolitics, 15 June 2010, in, www.ciari.org/investigacao/Politicalgeopdf, seen on 15/11/2021.

[3]- طي محمّد ، الجيوبولتيك منذ منتصف القرن التاسع عشر، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، بيروت، 2019، ص 5.

[4]- المرجع نفسه، ص6.

[5]- صافي عدنان، مرجع سابق، ص 63.

بدأ المنظور الجغرافي في الاستراتيجيا يتغير ليأخذ بعداً عالمياً وهذا ما بدأ يتضح في الكتابات الجيوبولتكية أواخر القرن التاسع عشر.

1.2- الحتمية الجغرافية في جيوبولتيك ما قبل الحرب العالمية الثانية

بدأ استخدام مصطلح "الجيوبولتيك" بصيغته الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر، لأن تفكير الدول بمنطق عالمي ارتبط حينها بالعوامل الجغرافية التي أصبحت تسمح بالتحرك على مستوى عالمي لا محلي أو إقليمي محدود[1]. وكان روّاده من الأميركيين والبريطانيين ومفكّري ألمانيا الصاعدة، أمّا الفرنسيّون فكانوا معارضين لهذا العلم الذي شعروا بأنّه يتجاوزهم ويعطي أسلحة أيديولوجيّة لخصومهم الألمان، لكنّهم ما لبثوا أن انخرطوا فيه دفاعا عن مصالحهم.

في ألمانيا، وجد الجيوبولتيك الألماني جذوره الأولى في إسهامات **فريديريك راتزل** Friedrich Ratzel (1844-1904) الذي اعتقد بأن الجغرافيا بالنسبة للدولة هي مثل الجسد للكائن الإنساني، لذا لا يمكن دراسة الدولة وفهم ماهيتها دون دراسة أراضيها ومكوناتها الطبيعية، والأمة الحية عنده هي التي تستثمر البيئة المحيطة بها لاستمرار وجودها[2]. وعلى هذا الأساس، طوّر راتزل مفهوم المجال الحيوي، مؤكدا أن الدولة القوية يجب أن تكون لها مساحة أكبر لكي تستطيع البقاء، وأن التوسع الجغرافي له جميع الخصائص المميزة للجسم الحي المتحرك، وأن أساسه هو الحصول على مساحة أكبر بالنظر للحجم الأساسي للدولة. بعد ذلك سعى رودولف كيلين (1864-1922) لنقل مفهوم الجيوبولتيك نحو العلمية، واصفاً إياها بأنها دراسة الدولة ككائن جغرافي أو ظاهرة مكانية على سطح الأرض، وهي تمثل العلم الذي يعين على ما يجب أن تقوم به الدولة الطامحة للقوة وكيف يجب استغلال الجغرافيا لأجل ذلك. وكإطار تحليلي ، فهي تستهدف دراسة ثلاثة أبعاد للدولة: حجمها (Phisiopolitic)، وشكل أراضيها (Morphopolitik)، وعلاقتها مع الدول الأخرى (Topopolitik)[3].

ثم أخذت أفكار راتزل وكيلين طريقها إلى التطبيق مع كارل هاوسهوفر (1896-1946) ، الذي أرجع خسارة ألمانيا الحرب العالمية الأولى إلى الافتقار للمعرفة الجغرافية، فجاءت أفكاره حول الجيوبولتيك بعد 1920 تصحيحية لتجابه الأخطاء الجغرافية لاتفاقية فارساي، التي قسّمت أوربا إلى قوى كبرى حاصلة على الأراضي في الغرب وأخرى في الشرق ودول مختنقة في الوسط، حيث أن سبب خسارة ألمانيا الحرب العالمية الأولى هو الافتقار إلى المعرفة الجغرافية والإدراك الجيوبولتيكي؛ فألمانيا كان يجب أن لا تصطف أبدا ضد روسيا فلا يجب السير ضد قوانين الجغرافيا كما جادل هاوسهوفر.[4]

---

[1] - Agnew John , Geopolitics Re-visioning World Politics Frontiers, Routledge, London, 2004, p.1.

[2] - العيسوي فايز، نفس المرجع، ص25.

[3] - Pascal Venier, Main Theoretical Currents in Geopolitical Thought in the Twentieth Century, L'Espace Politique , Université de Reims Champagne-Ardenne, 2011-02-11, p.3.

[4] - صافي عدنان، نفس المرجع ص ص 85- 86.

وفي بريطانيا، استخدم هالفورد ماكيندر Halford Mackinder الجغرافيا كعلم طبيعي لفهم السياسة، ومن ثمة محاولة التحكم في الطبيعة خدمة للسياسة. فقدَّم الأساس الفكري لنظريته قلب العالم في مقالته الشهيرة سنة 1904 "المحور الجغرافي للتاريخ" ثم طورها في كتابه "المثل الديمقراطية والواقع" سنة 1919 قبل أن يعدلها مرة ثالثة سنة 1943، وهي تتمحور حول إيجاد علاقة متبادلة بين تعميمات تاريخية وتعميمات جغرافية؛ حيث أن الحقائق الجغرافية هي التي تشكل استراتيجيات الدول وبذلك تؤثر على مسار التاريخ البشري.

في بحثه عن جغرافية أوراسيا لاحظ ماكيندر وجود سهول داخلية واسعة تتمتع بحماية طبيعية من جهاتها الأربعة تقريبا سماها في البداية بمنطقة الارتكاز Pivot area ثم أطلق عليها قلب العالم Heartland. وهي منطقة محصنة جغرافيا بما يوفر لها الأمن من أي هجوم خارجي: من الشمال الشرقي هضبة lenaland، ومن الشرق إقليم سيبيريا، ومن الجنوب الشرقي صحراء منغوليا القاحلة بسلاسلها الجبلية، ومن الجنوب جبال الهيمالايا وهضاب أفغانستان، ومن الشمال المحيط المتجمد الشمالي وهو بعيد عن الاستغلال للملاحة البحرية، ومن الشمال الغربي بحر البلطيق ومنفذها الوحيد هو الجنوب الغربي عبر أوربا الشرقية[1]. وقد اقتنع ماكيندر بالأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة وتأثيرها في العلاقات الدولية، وأوضح أن القوة البحرية قد فشلت تماماً في السيطرة عليها، وأبدى مخاوفه من تزايد قوة ألمانيا والاتحاد السوفييتي والتقارب الحاصل بينهما، لذا دعا إلى ضرورة أن تتحالف أوروبا الغربية والولايات المتحدة أو "حوض الأرض الوسطى" Midland Basin مع الاتحاد السوفييتي "قلب الأرض" للقضاء على النموذج العسكري الألماني، وتوقع أن تقوم وسط وشرق أوربا German realm بدور الفاصل بينهما وقد تلخصت نظريته في المقولة الشهيرة[2]:

- من يسيطر على أوربا الشرقية يسيطر على قلب العالم؛

- من يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم؛

-من يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم.

2.2 - الجيوستراتيجيا: الجغرافيا والإستراتيجية ما بعد الحرب العالمية الثانية

أدى اقترانها بدراسة أسباب القوة السياسية وشروط التوسع المساحي للدول بالجيوبولتيك لأن تفقد روحها العلمية ومكانتها في الجامعات العالمية، حيث أصبح يُنظر لها على أنها مرتبطة بالسياسات النازية وفكرة الاعتداء والحرب على الغير، ما جعلها منبوذة في أوساط الباحثين وقد وصفها الباحث جيوفري ساور (Geoffrey Sawer) بأنها الطفل المتمرد في العائلة الجغرافية وبأنها أقل علمية ومادتها في يد الدارس[3]. لكن

[1] - المرجع نفسه، ص ص 73-74.

[2] - العيسوي فايز، نفس المرجع ، ص 34.

[3] - العيسوي فايز، مرجع سابق، ص 36

ورغم أنها اختفت من الاستعمال اللفظي الصريح في الدوائر العلمية، إلا أنها لم تختفي تماماً من الممارسة العملية في الدوائر الرسمية، أين وُظفت تحت مسميات جديدة مثل الجيواستراتيجيا.

إنه وإذا كانت الجيوبولتيك تختص بدراسة الدولة من وجهة النظر السياسية، فإن هذا ما ينقلها من دائرة العلم المحض لتكون فناً أيضاً؛ فهي تدرس العلاقات الداخلية والخارجية للدولة وتبحث في قضايا السياسة العالمية من وجهة نظر قومية وذاتية متشبعة بفلسفة القوة، وتستخدم التاريخ القومي والعالمي لخدمة هذه الأغراض. فالجيوبولتيك علم وفن يستمد جذوره من علم الجغرافيا وحقائقه المتشعبة، ويعمل على الإفادة منها لخدمة خطط سياسية معينة يتبناها صناع القرار وخبراء الاستراتيجيا في الدولة[1]. لذا فالجيوبولتيك حين كان يُقال سابقاً بأنها يجب أن تُعنى بتحقيق المتطلبات المساحية للدولة، فإنها تعني اليوم بمفهوم أوسع أن تهتم بتشكيل الاستراتيجية السياسية للدولة. لذلك فالجيوبولتيك تمثل موضوعاً لالتقاء الجغرافيا السياسية بالاستراتيجية ضمن ما أصبح يعرف بالجيواستراتيجيا.

تقليديا، كانت الجغرافيا مهمة في الاستراتيجية في الجانب الميداني المتعلق بإدارة الحروب، فهي دائما ما كانت تهتم بالشروط الطبيعية لإدارة العمليات العسكرية. ولكن الجغرافيا بعد أن اكتسبت معاني جديدة حين سمحت الأساليب والوسائل العملية الحديثة بالحصول على المعرفة الدقيقة للعالم في مظاهره وأشكاله المتعددة، أصبح لها فوائد تتجاوز إدارة الحرب، التي لطالما كانت كما وصفتها عبارة كلاوزفيتس الشهيرة "استمرار للسياسة بوسائل أخرى". وبالتالي فالمعلومات الجغرافية يمكن أن تكون مفيدة بل وضرورية لقيادة الشعوب في السلم كما في الحرب[2]. إن الجيوبولتيك والاستراتيجية تسيران بخط واحد، واجتماع الجيوبولتيك بالاستراتيجية هو ما منحنا الجيوستراتيجية Geostrategy، وهي لغويا تتكون من مقطعين Geo وتعني أرض و Strategy وتعني فن استخدام القوة العسكرية لكسب أهداف الحرب، غير أن مفهومها تطور واكتسب قاعدة علمية شمولية وأصبحت تعني الاستخدام الأمثل للمعطيات السياسية والاقتصادية والعسكرية، ومن ثمة هناك من يجادل أن مصطلح الجيوستراتيجية قد يكون أكثر شمولاً من الجيوبولتيكا.[3]

لقد عرف زبيجنيو برجينسكي (Z. Brrezinski) الجيوستراتيجية انطلاقاً من العلاقة الثنائية بين الجغرافيا السياسية والاستراتيجية قائلا "تحمل مفردات الجغرافيا السياسية، الاستراتيجية والجيواستراتيجية المعاني التالية؛ فالجغرافيا السياسية تعكس العلاقة بين الجغرافيا والسياسة وتحديداً تأثير الجغرافيا على السياسة، أما الاستراتيجية فتشير للتوظيف المقصود والمخطط له للوسائل لتحقيق هدف مركزي أو حيوي عسكريا، أما الجيواستراتيجية فتجمع بينهما"[4].

---

[1]- شبكة النبأ المعلوماتية، مرجع سابق.

[2]- بيير سيلييريه ، الجغرافيا السياسية والاستراتيجية، ترجمة: أحمد عبد الكريم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1988، ص17.

[3]- شبكة النبأ المعلوماتية، مرجع سابق.

[4] - Brzezinski Zbigniew , Game Plan: A Geostrategic Framework for the Conduct of the U.S.–Soviet Contest. Boston: The Atlantic Monthly Press, 1986, p.117.

إذن فالجيواستراتيجية تتضمن بعداً جيوبوليتيكياً أكثر منه جغرافياً سياسياً، ووفقاً لما يذهب إليه كل من لويس سيمون (Luis Simon) وجيمس روجرس (James Rogers) فإن الجيواستراتيجية تتضمن ما هو أبعد من البعد العسكري لتتمحور حول"كسب النفوذ على منطقة حاسمة من سطح الأرض، وزيادة الأمن والازدهار للدولة، وجعل النسق الدولي أكثر ملائمة لمصالحها، والعمل على توجيه الدول الأخرى بدل أن تكون محل توجيه منها، والعمل على ضمان الولوج إلى أهم الطرق التجارية، والسيطرة على البحار والأنهار والمضايق الاستراتيجية، وضمان انتشار عسكري واسع، وقواعد عسكرية عابرة للبحار، وسفن حربية لها قدرة التواجد في أعماق المحيطات، والحاجة لشبكة تحالفات مع قوى كبرى تشترك معها في نفس المصالح، ودول صغرى للنفوذ في مناطق تعتبرها الدولة مهمة لمصالحها"[1].

3- أطروحة نهاية الجغرافيا: الثورة الرقمية وفكرة المساحة غير المادية

بالنسبة لكثير من المتحمسين للعولمة، فالعالم في ظل تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال قد دخل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على الأقل مرحلة انتقالية من نظام عالمي قديم محتضر- إلى ميلاد نظام عالمي جديد. ولقد حاول عدد كبير من الباحثين أن يرسم الخطوط العريضة لهذا التحول، ولعل أشهرها كانت أطروحة ألفين توفلير Alvin Toffler، حين جادل بأن العالم يخضع لانتقال مثير من حضارة الموجة الثانية أو الحضارة الصناعية، إلى حضارة الموجة الثالثة المعلوماتية الناجمة عن تكنولوجيا المعلومات وثورة الاتصالات.

1.3- العصر الرقمي وموت المسافة

عصر المعلومات، أو ما يعرف أيضا باسم عصر- الكمبيوتر أو العصر- الرقمي، هو فترة تاريخية جديدة تتميز بالتحول السريع من الصناعة التقليدية التي جلبتها الثورة الصناعية من خلال التصنيع إلى اقتصاد يقوم أساسا على تكنولوجيا المعلومات. لقد أدى استخدام تكنولوجيا الحوسبة داخل المجتمع العالمي إلى تحديث عمليات المعلومات والاتصالات لتصبح أهم قوة دافعة للتطور الاجتماعي والإنساني. وتبعاً لذلك فإن عصر- المعلومات يؤسس لنظام جديد مستقل تماما من القواعد والقيم والسلوكيات التقليدية، بل وحتى مواضيع كالأمن والدولة القومية والسيادة والجغرافيا تصبح مواضيع تقليدية.

إن تكنولوجيات الاتصالات الجديدة تساهم مباشرة في إحداث تغيير اجتماعي ومكاني بطريقة بسيطة خطية وحتمية. إن الثورة الرقمية التي تجتاح العالم تمثل ثورة في مجال الاتصالات تعمل على تحويل المجتمع؛ فعند استخدام التكنولوجيا الرقمية من قبل الأشخاص، فإنها تتيح لهم المعلومات ونقلها بطرق لا حدود لها وهذه القدرة هي أساس النجاح الاقتصادي في مختلف أنحاء العالم ولكنها تقدم أكثر من ذلك، إنها تقدم ديمقراطية

[1] - Rogers James, Simón Luis, Think Again: European Geostrategy., (14 March 2010). Retrieved 1 May 2021, at: https://bit.ly/3FhYQss.

جديدة لا تهيمن عليها المصالح الخاصة وبالتالي فإنها قادرة على تضييق الفجوة و تعمل على تعميق الروابط بين البشر بعيدا عن قيود الجغرافيا.[1]

إن توسع استخدام الحواسيب وتكنولوجيات الاتصالات الرقمية خلق فضاء جديدا هو "الفضاء الإلكتروني" وهو مساحة جديدة غير مرئية لحواسنا المباشرة، مساحة قد تصبح أكثر أهمية من المساحة المادية نفسها. ومن الواضح أن قوة الإقليم السياسي المادية أصبحت اليوم متآكلة بفعل القوة التي يتمتع بها الفضاء الإلكتروني. إن الجغرافية الجديدة هي مساحة غير مادية؛ حيث لا تبرز أهمية الموقع كما هو الحال في الفضاء الجغرافي المادي، فأهمية الإقليم في ديناميات الحياة البشرية التي تقوم على أساس العلاقة التقليدية بين المكان- الفضاء -space place أصبحت متجاوزة بفضل تكنولوجيا الاتصالات الجديدة[2].

2.3 أطروحة نهاية الجغرافيا:

إن هذا التطور التقني يدفع للتساؤل عمّا هي الحدود النهائية للجغرافيا المعاصرة في ظل الثورة الرقمية وهيمنة الفضاء الرقمي؟ وهل فقدت المسافة معناها والمكان أهميته؟ منذ سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي، فإن القضية الرئيسية التي تُناقش في حقل الجغرافيا هي مسألة تجاوز الحدود الاقليمية Deterritorialization في عالم معولم يتجه ليكون عالما بلا حدود borderless world. وتشير هذه المسألة إلى إعادة ترتيب العلاقات المكانية وإعادة هيكلتها نتيجة للتحولات السياسية والمادية والتكنولوجية الحاصلة، لتصبح الممارسات الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية منفصلة عن المكان والزمان[3]. وحسب أنصار العولمة، فإن موت المسافات قد يكون هو المحرك الأكثر أهمية الذي سوف يشكل المجتمع أثناء النصف الأول من القرن الحادي والعشرين.[4]

من السهل إلى حد ما تحديد الآثار الجغرافية على الفضاء والمكان لـ "الثورة التكنولوجية" المفترضة، فمع انتشار واندماج تكنولوجيات وسائط الإعلام والحوسبة والاتصالات وانخفاض تكاليف المعدات والإرسال، فإن المسافة عملياً انتهت وانتهى تأثيرها كمقيد للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لتصبح الحياة البشرية "متحررة" من قيود الفضاء وآثار المسافة؛ كل شيء يصبح ممكناً في أي مكان وفي أي وقت، وجميع المعلومات تصبح متاحة في كل مكان وأي زمان. ولذلك فإن "ثورة الاتصالات الرقمية" تدعم فكرة موت المسافة ونهاية الجغرافيا[5]. وذلك هو خلصت إليه ذلك دراسة ريتشارد أوبرين في أطروحته الشهيرة عن نهاية الجغرافيا.

إن نهاية نظرية الجغرافيا التي قدمها ريتشارد أوبراين Richard O'Brien في عام 1990 ثم طورها في عام 1992 تجادل أنه بفضل تكنولوجيات المعلومات الجديدة أصبحت الجغرافيا أمراً عفا عليه الزمن بسبب الترابط

[1] - Stephen Graham, The end of geography or the explosion of place? Conceptualizing space, place and information technology, Progress in Human Geography, Vol 22, N2 ,1998, p.166.
[2] - Louis Sanguin, End Of Geography Or Revenge Of Geography? Human Societies Between A Smooth, Spiky Or Flat World, Bollettino Della Società Geografica Italiana Roma - Serie 13, Vol 7, 2014, p.448.
[3] -Idem, p. 447.
[4]- Idem, p.449.
[5] - Stephen Graham ,Op.Cit., p.168.

العالمي في أسواق المال. وطبقا لأوبراين، فإن هذا المكان كان عبارة عن سوق الأوراق المالية حيث كان التجار والسماسرة يمارسون الضغوط ويتنافسون. ومن الآن فصاعدا، يقع هذا المكان نفسه في رقاقة كمبيوتر يصعب التعرف على إحداثياتها الجغرافية. وطبقا لأوبراين فقد أصبحت نهاية الجغرافيا واقعة. ومن خلال هذا التعبير فهو يدرك نهاية الدور الذي تلعبه الدولة القومية باعتبارها محركا للحياة الاقتصادية، أو نستطيع القول بعبارة أخرى إن مفهوم الدولة القومية أصبح عتيقاً في عالم اليوم[1].

4- أي مصير للجيوبولتيك بانتهاء الجغرافيا: بدائل جديدة أم عودة الجيوبولتيك القديم؟

يدفع التحول التقني الرهيب في عصر عولمة الاتصال والمعلومات للتساؤل عن ما هي الحدود النهائية للجغرافيا المعاصرة في ضل الثورة الرقمية وهيمنة الفضاء الرقمي، هل تفقد الأرض معناها وقوتها؟ وإذا كان الأمر كذلك فما مصير الجيوبولتيك بفقدها الجغرافيا كمجال تطبيقها الرئيس.

1.4- نهاية الجغرافيا وبدائل الجيوبولتيك

وفق الاستخدام الأكثر شيوعاً، يحيلنا مفهوم الجغرافيا في ظل عولمة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال نحو وصف للعالم ماديا على أنه ممتد، متقلص، متصل، متشابك، متكامل، مترابط، أو أقل تقسيماً إقليمياً بين الدول القومية. فبحسب تعبير (Harvey 1989) ينظر للعولمة على أنها عملية اقتصادية تكنولوجية لضغط المكان والزمان Process Of Time-Space Compression. لذا فإنه غالبا ما ينظر إلى العولمة باعتبارها تحل محل الجيوبولتيك .ومن وجهة النظر هذه، إذا كانت العولمة تتعلق بعالم لا يعرف حدودا، فإن الجيوبولتيك التي كانت تدور حول القوى العظمى والإمبراطوريات التي تقسم العالم وتفرض سيطرة إقليمية عليه تكون قد تراجعت[2]، ومن شأن هذا التمييز أن يرسم خطا بالغ الجرأة بين عالم الماضي الجيوبولتيكي وعالم اليوم المعولم.

بالنسبة للعديد من منظري الشئون الدولية، فإن المظاهر الواضحة لنهاية الجغرافيا تشكل دليلاً كافياً على الزعم بأن الجيوبولتيك قد انتهت. في الواقع وجدت مساهمات نظرية عديدة لرسم نهاية القديم وبداية الجديد حول الجيوبولتيك، وعلى الرغم من الاختلاف بينها حول البديل عن الجيوبولتيك، فإن القاسم المشترك بينها يتلخص في مفهوم بسيط ومحدود للجيوبولتيك يربطها بالحرب الباردة وشعارات سيادة الدول، فهي تدرك الجيوبولتيك على أنها ليست أكثر من سياسة واقعية realpolitik ، وعالم من تنافس شرس بين الدول على الأراضي، وسياسة توازن القوى التي سادت خلال الحرب الباردة في مختلف أنحاء العالم. إنها جميعا تشترك في فرضية أننا وصلنا إلى نهاية الجيوبولتيك التي صارت تنتمي إلى عالم الماضي، إلى عصر تكنولوجي قديم مقيد جغرافيا بمنطق الحدود الاقليمية، حقبة من المؤسسات المختلفة، درجة متدنية من العولمة، وخطاب الخطر[3].

---

[1] - Louis Sanguin,Op.Cit., p. 448.

[2] - John A. Agnew, A World That Knows No Boundaries? The Geopolitics of Globalization and the Myth of a Borderless World, CIBR Working Papers in Border Studies CIBR/WP03-2, p.2.

[3] - Gearóid Ó Tuathail, At the End of Geopolitics? Reflections on a Plural Problematic at the Century's End , Alternatives: Global, Local, Political, Vol. 22, No. 1 Jan.-Mar. 1997, p.35.

أ- الكرونوبولتيكس chronopolitics

يزعم باحثون مثل بول فيريليو Paul Virilio وجيمس دير داران James Der Derian بأن التراجع المتواصل لأهمية الحيز الجغرافي أمام تكنولوجيا المعلومات يقود لتراجع أهمية متغير المكان لصالح متغير جديد هو "الزمان"، وعلى هذا الأساس تصبح "الكرونوبولتيكس" أكثر أهمية من الجيوبولتيك في الشئون الدولية الحالية. يرى فيريليو بأن القيمة الإستراتيجية للجغرافيا فقدت أهميتها أمام متغير "السرعة" التي أصبحت تتحكم في الحدود وتتجاوز قيود المسافة لتحل محل المكان. وعلى هذا الأساس، يزعم فيريليو بأن "الفضاء لم يعد في الجغرافيا بل في الإلكترونيات... وهناك انتقال من الجغرافيا إلى الكرونوبولتيك: حيث يصبح توزيع الأراضي توزيع الوقت". فالإقليم فقد أهميته أمام التطورات التكنولوجية لصالح "الزمن"؛ في الجانب المدني بفضل سرعة وكمية التدفقات الاقتصادية والمعلوماتية العابرة للحدود أصبحت قدرات الدول على ممارسة الدور الرقابي محدودة. وفي الجانب العسكري بفضل الصواريخ العابرة للقارات وطائرات الدرون وتوظيف تكنولوجيا الأقمار الصناعية أصبحت الدول قادرة على تجاوز القيود الطبيعية كالمناخ والتضاريس.[1]

ب- الجيواكونوميك Geoeconomics

يؤكد باحثون آخرون، مثل إدوارد لوتواك Edward Luttwak أن تراجع الحرب الباردة قد قلص من أهمية القوة العسكرية في الشؤون الدولية لصالح العوامل الاقتصادية. وعلى أساس من ذلك، يفترض لوتواك بأن الانتقال قد حصل من الجيوبولتيك إلى الاقتصاد الجيوسياسي: "يبدو أن الجميع يوافقون الآن على أن أساليب التجارة تحل محل الأساليب العسكرية ،قوة رأس المال بدلا من القوة النارية، والابتكار المدني بدلاً من التقدم العسكري - التقني، واختراق السوق بدلاً من المواقع العسكرية والقواعد". ومع ذلك ، فإنها حماسة لوتواك لا تبدو قريبة من مثالية أنصار العولمة مثل كينيش اوماي ، الذي يتصور عالما رأسمالياً في المستقبل القريب خال من حدود الدولة القومية، فبالنسبة للوتواك، فإن الدول القومية ستبقى "ككيانات مكانية مهيكلة تصر على رسم حدود أراضيها"، وكبيروقراطيات فهي تميل بطبيعتها إلى السعي إلى تحقيق ميزة نسبية ضد كيانات مماثلة على الساحة الدولية، لذا فهي تسعى للحفاظ على دورها بل وتعزيزه من خلال التنافس الاقتصادي على الأسواق. ولن يكون العصر الجيواقتصادي القادم عصراً يتسم بالترابط العالمي المتناغم، بل إنه عصر يتسم باستمرار التنافس بين الدول حيث يعبر عن منطق الصراع في قواعد التجارة[2].

ج- الايكوبولتيكس Ecopolitics

إن الجيوبولتيك الجديدة هي جيوبولتيك عابرة للحدود فيما يتصل بمشاكل طبقة الأوزون، الأمطار الحمضية، التلوث الصناعي، تآكل التربة السطحية، استنزاف الغابات المطيرة وانبعاثات الغاز السامة. ولأجل ذلك يقترح المهتمون بالأمن البيئي العالمي بأن الأزمات البيئية والايكولوجية المتنامية تهدد بتغيير طبيعة

[1] - Idem, pp.35-36.
[2] - Ibid.

السياسة الدولية تغييرا جذريا. وبالنسبة لكثير من المثقفين والسياسيين المهتمين بالبيئة، فإن التحول الحقيقي الذي يتعين القيام به هو التحول من الجيوبولتيك إلى الايكوبولتيكس ecopolitics. إن طبيعة الأزمات البيئية السابقة وتأثيراتها على كوكبنا الهش تفرض تحديات غير مسبوقة على الحضارة الانسانية. ولمعالجة هذا التدهور في البيئة العالمية، لا تحتاج البشرية إلى مبادرة استراتيجية دفاعية، بل إلى مبادرة استراتيجية بيئية، وهي مهمة موكلة إلى الجماعية الإنسانية. فالبيئة أصبحت "الأجندة المقدسة الجديدة" التي تتطلب إيمانا جديدا بمستقبل الحياة على الأرض.

د- الحوكمة الجغرافية Geogovernance

لقد استخدم جايمس روزيناو مصطلح الحكومة العالمية للإشارة لعالم دون سلطة السيادة، تتجاوز فيه حدود علاقات الحدود الوطنية أو نظام الدولة، إنه بعبارة أخرى أن نفعل على المستوى العالمي ما تفعله الحكومات على المستوى الوطني. وعرفها بشكل أكثر دقة توماس وايس على أنها "تعبر عن الجهود الجماعية لتعريف وفهم المشكلات العالمية، وهي المشكلات التي تتعدى قدرات الدول منفردة على حلها. إنها تعكس قدرة النظام الدولي في لحظة ما على تعزيز الخدمات الحكومية في غياب الحكومة العالمية"[1]. في هذا السياق، يجادل ريتشارد فالك Richard Falk بأن العالم يتحرك بسرعة بعيدا عن الجيوبولتيك نحو واقع اقتصادي وثقافي وسياسي أكثر تكاملاً وفق مجموعة من الظروف يسميها geogovernanceالحوكمة الجغرافية. فحيث أن سيادة الدولة، بوصفها طرفا فاعلا في إدارة التاريخ البشري، تضاءلت كثيرا وقدراتها التقليدية آخذة في الضعف باستمرار، فإن معضلة السياسة العالمية لم تعد سياسية جيوبولتكية بل حوكمية تتعلق بإدارة التحديات العالمية المشتركة[2].

2.4- عودة الجغرافيا وانتقام الجيوولتيك:

في مقالته الشهيرة "انتقام الجغرافيا" "The Revenge of Geography" رد روبرت كابلان Robert Kaplan الاعتبار للجغرافيا، مجادلا بأن الجغرافيا كانت دائما وستظل أبدا العامل الرئيسي- في مصير الشعوب. فالجغرافيا بوسعها أن تشرح وتحلل الصراعات السياسية، الاقتصادية والثقافية التي تقف العولمة عاجزة عن تفسيرها. إن القرن الحادي والعشرين لا يعكس نهاية التاريخ ولكن عودة التاريخ؛ فالجغرافيا كما كانت على مر التاريخ، هي واحدة من أقوى القوى المحركة للأحداث العالمية، وبإمكانها أن تشرح جيدا كم عددا من قضايا الصراع القديمة ستولد من جديد[3].

[1]- مراد بن سعيد ، من الحوكمة الدولية إلى الحوكمة العالمية، التحولات الأنطولوجية في تحليل الحوكمة البيئية العالمية، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 421، مارس 2014. ص136.

[2] - Gearóid Ó Tuathail, Op.Cit., p37.

[3] - Louis Sanguin,Op.Cit., p. 448.

إذا كانت عولمة أواخر القرن العشرين قد أكدت على تقادم الحدود الوطنية. فإنه بات من الواضح على نحو متزايد مع بداية القرن الحادي والعشرين عودة النزعة القومية إلى الحياة من جديد. فمن الاسكتلنديين إلى الكتالان والأكراد تريد هذه الجماعات تأسيس دولها الخاصة. أما في الدول فإنه من شينزو آبي في اليابان، وشي جين بينج في الصين، وفلاديمير بوتن في روسيا، ورجب طيب أردوغان في تركيا، ونارينـدرا مودي في الهند، ودونالد ترامب في الولايات المتحدة، كلهم يملكون أجندات قومية لخدمة مصالح دولهم الوطنية. وعلى المستوى الإقليمي، تعاني تجربة التكامل عبر الوطنية التي كان الاتحاد الأوروبي أفضل نماذجها من التوترات الاقتصادية بين أطرافها الجنوبية وقلب الشمال، خاصة بعد أزمة البريكزيت وانسحاب المملكة المتحدة. وعلى الجبهة الوطنية، هناك مرة أخرى صعود لافت لأحزاب اليمين المحافظة مثل الجبهة الوطنية الفرنسية، والفجر الذهبي اليوناني، ودونالد ترامب وبوريس جونسون في الولايات المتحدة وبريطانيا على التوالي. وداخل أوروبا الشرقية هناك ارتفاع مماثل في النزعة الوطنية، مع ضم روسيا لشبه جزيرة القرم ودعمها للانفصاليين الموالين لروسيا في شرق أوكرانيا. وفي الشرق الأوسط، تظل الفوضى مستمرة خاصة مع الآثار التي تركتها أحداث "الربيع العربي"، وهناك في الشرق الأقصى تظل النزاعات مستمرة بشأن كوريا الشمالية وتايوان الجزر في بحري الصين الجنوبي والشرقي. وكل هذا يدفعنا إلى إدراك حقيقة مفادها أن الأحداث العالمية تحركها على نحو متزايد الأفكار الجغرافية القديمة[1] ، لذا فالجيوبولتيك آخذة في الانبعاث من جديد.

خاتمة:

إن التأكيد ببساطة على أن الجيوبولتيك اقتربت من نهايتها يتجاهل الصراع الدائر حول الفضاء العالمي في نهاية القرن العشرين. قد تكون الرؤى الإمبراطورية لمكيندر وجيوبولتيكيي الحرب الباردة شكلاً قديماً، ولكن الصراعات التكنولوجية الجديدة للسيطرة على الفضاء الرقمي، الفضاء الخارجي، الفضاء الإعلامي كفضاءات جغرافية جديدة قد اتخذت مكانها وتسعى إلى تأطير عالمنا اليوم. فالجيوبولتيك لم تنته بعد؛ ولا يزال الصراع قائماً ومستمراً من أجل تشكيل الفضاء العالمي بمعايير الجغرافيا والقوة والمعرفة.

إذا كانت الجيوبولتيك هي حصيلة التقاء الجغرافيا بالإستراتيجية القومية للدولة الأمة، فإنها لا يمكن أن تنتهي إلا بانتهاء تفكير الدول بمنطق المصلحة القومية، وحيث يبدو ذلك متعذراً فكذلك تتعذر نهاية الجيوبولتيك. إنها في أسوأ الحالات يمكن أن تأخذ أشكالا جديدة كالصراع على الأسواق، الفضاء الرقمي، الفضاء الإعلامي وصناعة الأقمار الصناعية Orbital Sciences، كفضاءات جغرافية جديدة، وفي أحسنها فإنها ستعود من جديد في شكل عودة النزعة القومية، النزاعات الحدودية، الحمائية الاقتصادية، وانحدار التجارة المتعددة الأطراف كما هو حاصل اليوم.

إذا ما فهمنا العولمة بمعنى التعجيل بتدفقات رأس المال والعمالة والمنتجات والأفكار عبر الحدود، بينما فهمنا الجيوبولتيك على أنها عودة النزعة القومية، وفي حين يمكن وصف اللحظات المختلفة في تاريخ العالم على

[1]- Stephen Graham ,Op.Cit., p.2.

هذا أنها عملية ديناميكية من التداور بين الجيوبولتيك والعولمة بما يمكن تسميتها هنا "دورة العولمة/الجيوبولتيك" ومن وجهة النظر هذه، فإن ما يسمى بعودة الجيوبولتيك في أوائل القرن الحادي والعشرين ليس سوى آخر تحول دوري لعملية تاريخية عالمية أكبر وأطول بكثير.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- باللغة العربية:

أ-الكتب:

1- العيسوي فايز مُحَمَّد ، الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.

2- ألكسندر دوفاي، الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك، ترجمة حسين حيدر، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 2006.

3- بيير سيليريه ، الجغرافيا السياسية والاستراتيجية، ترجمة: أحمد عبد الكريم، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1988.

4- صافي عدنان ، الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، مركز الكتاب الاكاديمي للنشر والتوزيع، عمان، 1999.

5- طي مُحَمَّد ، الجيوبولتيك منذ منتصف القرن التاسع عشر، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، بيروت، 2019.

6- معين حداد، الجيوبولتيكا: قضايا الهوية والانتماء، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2006.

ب- المجلات:

7- مراد بن سعيد ، من الحوكمة الدولية إلى الحوكمة العالمية، التحولات الأنطولوجية في تحليل الحوكمة البيئية العالمية، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 421، مارس 2014. ص136.

ج- المواقع الالكترونية:

8- الموسوعة السياسية، "الجيوبولتيك"، على الرابط: https://bit.ly/3AYOYBn، تم التصفح يوم 2021/09/05.

9- شبكة النبأ المعلوماتية "مصطلحات سياسية: جغرافيا سياسية"، على الرابط

https://annabaa.org/nbanews/64/83.htm: ، تم التصفح يوم 2015/09/05.

ثانيا-باللغة الأجنبية:

A- Books:

10- Agnew John , Geopolitics Re-visioning World Politics Frontiers, Routledge, London, 2004.

11- Brzezinski Zbigniew , Game Plan: A Geostrategic Framework for the Conduct of the U.S.–Soviet Contest. Boston: The Atlantic Monthly Press, 1986.

B- Articls:

12- Agnew John, A World That Knows No Boundaries? The Geopolitics of Globalization and the Myth of a Borderless World, CIBR Working Papers in Border Studies CIBR/WP03-2.

13- Gearóid Ó Tuathail, At the End of Geopolitics? Reflections on a Plural Problematic at the Century's End , Alternatives: Global, Local, Political, Vol. 22, No. 1 Jan.-Mar. 1997.

14- Venier Pascal, Main Theoretical Currents in Geopolitical Thought in the Twentieth Century, L'Espace Politique , Université de Reims Champagne-Ardenne, 2011.

15- Sanguin Louis, End Of Geography Or Revenge Of Geography? Human Societies Between A Smooth, Spiky Or Flat World, Bollettino Della Società Geografica Italiana Roma - Serie 13, Vol 7, 2014

16- Stephen Graham, The end of geography or the explosion of place? Conceptualizing space, place and information technology, Progress in Human Geography, Vol 22, N2 ,1998.

C- Internet links:

17- Bruno de Almeida Ferrari, Some Considerations About the Methods and the Nature of Political Geography and Geopolitics, 15 June 2010, in, www.ciari.org/investigacao/Politicalgeopdf, seen on 15/11/2021.

18- Rogers James, Simón Luis, Think Again: European Geostrategy., (14 March 2010). Retrieved 1 May 2021, at: https://bit.ly/3FhYQss.